

رسالة

معرفة القبلة



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدمة

معرفة جهة القبلة هي موضع الاهتمام عند جميع المسلمين في مختلف أرجاء العالم، لوجوب التوجّه نحو الكعبة المشرفة عند أداء الصلاة.

و كان المسجد الأقصى في بيت المقدس، الواقع في فلسطين، القبلة الأولى للمسلمين على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى منتصف شهر رجب من السنة الثانية بعد الهجرة.

و في ذاك الزمان، عندما كان النبي الأعظم (ص) يصلي مع جماعة من المسلمين في مسجد "بني سالم" في المدينة المنورة، أمره الله سبحانه و تعالى للاتّجاه نحو الكعبة المشرفة في مكّة المكرّمة.

و لأجل هذا، سمّي مسجد "بني سالم" بمسجد "ذي قبلتين".

و منذ تلك الفترة الزمنية و لحدّ الآن و الى الأبد،
تكون الكعبة المشرّفة قبله لكافة المسلمين في
العالم.

القبلة على وزن الفعله بكسر الفاء تدلّ على حالة
عليها المقابل، ثمّ نقلت إلى موضع مقابل يتوجّه إليه
المصلّي وهي الكعبة المشرّفة عينا أو جهة. وتجب
معرفتها، واستدلّ على ذلك بأدلة، منها قوله تعالى
في الذكر الحكيم:

"ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام
وإنّه للحقّ من ربّك وما الله بغافل عمّا تعملون. ومن
حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره لئلاّ يكون
للناس عليكم حجة".¹

¹ سورة البقرة، آية 149 و150.

معرفة سمت القبلة

قبل الخوض في هذا البحث، يجب علينا أن نشرح بعض المصطلحات الفلكية التي ستذكر في هذا الفصل، و هي:

- دائرة الافق
- سمت الرأس
- سمت القدم

دائرة الافق

دائرة الافق هي دائرة عظيمة تفرض على الكرة السماوية، و هي على ثلاثة أقسام:

الأفق الحقيقي

وهي عظيمة محورها خط يخرج من مركز الأرض على استقامة قامة كل قائم على بسيط الأرض و

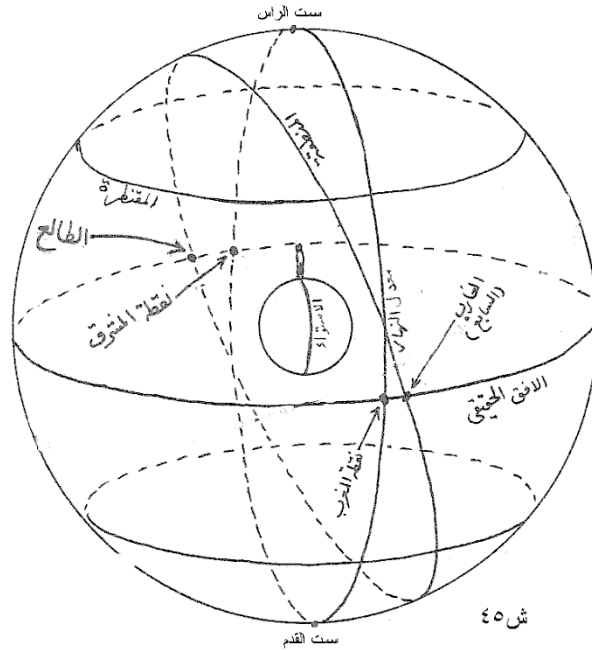
يمرّ من سمت رأسه وسمت قدمه وينتهي إلى
الكرة السماوية بنقطتين متقاطرتين وهما قطباها،
والفوقانية **سمت الرأس** والتحتانية **سمت القدم**.
و إذا نصّفت المعدّل فتنصّفها على نقطتي المشرق
والمغرب والواصل بينهما خطّ الاعتدال وتنصّف
المنطقة على الطالع والغارب (وهو السابع لأنه مبدأ
سابع البروج من الطالع بالتوالي). والدوائر الصغار
الموازية لها مقنطرات.

الأفق الحسيّ

وهي مقنطرة مماسّة للأرض على الطرف الأقرب
إلى سمت الرأس من قطر الأرض المخرج على
استقامة القامة وهو عمود عليها.

الأفق الترسّي

وهي دائرة يرتسم محيطها من توهم دوران طرف
خط يخرج من بصر القائم على وجه الأرض يماس
بسطحها و ينتهي إلى الكرة السماوية.



الأفق الحقيقي لساكن منطقة استوائية

بعد تبين المقدمة المذكورة، نبدأ بشرح دائرة سمت القبلة، التي لها دور مهم في معرفة جهة القبلة.

دائرة سمت القبلة

وهي الدائرة العظيمة المارة بسمتي رأس البلد ومكة المكرمة. وما يقاطع منها أفق البلد في جهة

مكّة هي نقطة سمت القبلة والخطّ الواصل ما بين هذه النقطة ومركز دائرة الأفق هو خطّ سمت القبلة. فالساجد على خطّ السمت نحو نقطة السمت يواجه القبلة، لأنّها مقدار من الفضاء المحاذي للكعبة من عنان السماء إلى تخوم الأرض.² والقوس الواقعة من الأفق بين دائرة نصف النهار للبلد ودائرة سمت القبلة من جانب ليس أقرب منه هي قوس سمت القبلة وقد تسمّى بانحراف سمت القبلة.

² راجع الكتب الروائيّة كوسائل الشيعة وكتب الصلاة، أبواب القبلة، الباب 18.

أساليب معرفة القبلة

واعلم أنّ ههنا طرقا كثيرة لمعرفة سمت القبلة و نحن نشير إلى نبذة منها فيما يلي:

1. معرفة القبلة ببلوغ الشمس سمت رأس مكّة

انّ عرض مكّة المكرّمة³ أقلّ من الميل الكليّ، فتمرّ الشمس في دورتها السنويّة عند وصولها إلى نصف نهار مكّة على سمت رأسها مرّتين وحينئذ ينعلم هناك ظلّ الشاخص وتكون الشمس فوق الكعبة المشرّفة بالضبط. وذلك عند وصول الشمس إلى الدرجة الثامنة من الجوزاء والثالثة والعشرين من السرطان.

وعندما وصلت الشمس اليهما فخذ التفاوت بين البلد ومكّة من الطول وخذ لكلّ خمس عشرة درجات من

³ عرض مكّة زادها الله شرفا هو 21 درجة و25 دقيقة.

التفاوت بين الطولين ساعة زمنية، ولكلّ درجة أربع دقائق زمنية ولكلّ دقيقة فلكيّة أربع ثواني زمنية و هكذا...

فإن كان البلد شرقياً بالنسبة إلى مكّة المكرمة، فالشمس تصل إلى سمت رأسها بعد مضيّها من نصف نهاره بقدر التفاوت بين الطولين. وإن كان غربياً فبالعكس. فإذا مضت الشمس من نصف نهار البلد بقدر ما عندك من الساعات والدقائق إن زاد طول البلد بالنسبة إلى مكّة، أو بقي له بنفس ذلك المقدار من الزمان إن نقص، فظلّ الشاخص حينئذ خطّ سمت القبلة وهي إلى خلاف جهة الظلّ. فإذا توجّهت في ذلك الوقت إلى الشمس فتواجه القبلة. وذلك في خصوص الآفاق التي تقع إحدى الدرجتين المذكورتين فيها -عند كونها على سمت رأس مكّة- فوق الأرض. و يعرف ذلك بان يكون تفاوت ما بين الطولين أقل من نصف قوس نهار الدرجتين المذكورتين في البلد.

و يجب أن لا يبلغ عرض البلد إلى ما يكون مدار الشمس في الدرجتين المذكورتين من المدارات الأبدية الظهور أو الأبدية الخفاء.⁴

2. معرفة سمت القبلة بالدائرة الهندية⁵

يعرف سمت القبلة بالدائرة الهندية أيضا على وجه التقريب القريب من التحقيق وذلك في خصوص ما كان التفاوت بين طول البلد وطول مكة أقل من ربع الدور. و هذه المسألة يبتني على تقديم مقدمات:

المقدمة الأولى

تسوى قطعة من وجه الأرض بالكونيا أو ميزان البنائين أو غيرهما غاية التسوية بحيث إذا صب

⁴ لا يخفى انه في الدرجتين المذكورتين، يمكن معرفة بلوغ الشمس سمت رأس مكة المكرمة بالمذيع وأمثاله، فمن واجه الشمس حينئذ فيواجه القبلة كما هو واضح.
⁵ إنما سميت تلك الدائرة بالهندية لأن اختراعها منسوب إلى حكماء الهند، كما قال البيروني في كتابه (أفراد المقال في أمر الظلال):
"وإنما نسبت إليهم لأنها في زيغ الاركنند و زيجات الهند وحساباتهم أول ما وقع في مملكة الإسلام من أمثالها".

عليها سائل سال من الجوانب كلّها. ولتكن تلك القطعة من وجه الأرض منكشفة الأفق. ثمّ ترسم عليها دائرة وتنصب على مركزها مقياسا على قوائم. والصواب أن يكون المقياس على شكل مخروط وأن يكون طوله مساويا لربع قطر الدائرة المذكورة.

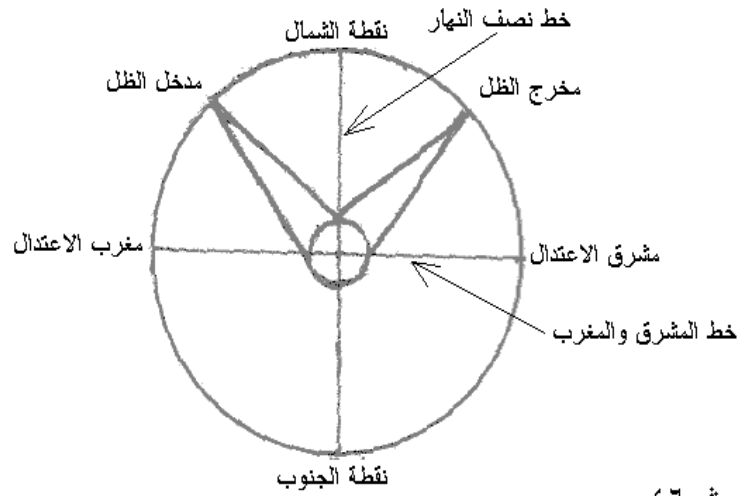
المقدّمة الثانية

فإذا طلعت الشمس يكون ظل رأس المقياس خارج الدائرة الهندية وكلّما ازداد ارتفاع الشمس يزداد تناقص الظلّ، فإذا انطبق رأس الظلّ على محيط الدائرة فتجعل على منتصف عرض رأس الظلّ علامة وهي مدخل الظلّ.

وترصد خروج الظلّ عن الدائرة قبل الغروب، فإذا انطبق رأس الظلّ على محيط الدائرة -أي قبل خروجه عنها- فتجعل على منتصف عرضه علامة أخرى وهي مخرج الظلّ.

ثمّ تنصّف القوس بين المدخل والمخرج وتخرج من منتصفه خطّا مارّا بمركز الدائرة إلى أن ينتهي إلى

محيطها من الجانبين. فهو خطّ نصف النّهار وقد يسمّى خطّ الزوال وطرفا تقاطع خط نصف النّهار مع الدائرة الهندية نقتطتا الشمال والجنوب. ثمّ تخرج خطّا آخر مقاطعا له على قوائم ماراً بمركز الدائرة وهو خطّ المشرق والمغرب وقد يسمّى بخطّ الاعتدال. ونقتطتا تقاطعه مع محيط الدائرة هما مشرق الاعتدال (وهي التي تقع إلى جانب المشرق) ومغرب الاعتدال (وهي الواقعة إلى جانب المغرب).



ش ٤٦ ب

المقدّمة الثالثة

لا يخفى أنّ هذا العمل تقريبيّ، لاختلاف المدارين اليوميين حالتي الدخول والخروج. وذلك بسبب دوام حركة الشمس وتغيّر ميلها آنا فأنا، فتتغيّر المدارات اليوميّة في كلّ وقت، فالشمس عند دخول الظلّ كانت في مدار يوميّ معيّن وعند خروجه كانت في مدار يوميّ آخر. والحال أنّ دقّة العمل تبتني على كون الشمس حين وصول رأس الظلّ إلى محيط الدائرة قبل الزوال وبعده على مدار يوميّ واحد. وحيث أنّه ليس كذلك فالعمل ليس بالدقّة والتحقيق بل هو تقريبيّ.

ولأجل تقريب العمل المذكور من التحقيق يجب مراعاة أمور نشير إلى أهمّها.

1. أن يكون العمل عند كون الشمس في الانقلابين أو قريبا منهما، لأنّ حركة الميل في ذلك الوقت بطيئة. والأجود أن تكون الشمس في الانقلاب الصيفي خاصّة لكثرة وضوح الظلّ حينئذ.

2. إذا كان العمل في يوم تكون الشمس في نصف نهاره في المنقلب اتّحد مدارها اليومي حالتي الدخول والخروج. لكنّه نادر الوقوع.
3. وإذا كان طلوع الشمس أو غروبها في الاعتدال الربيعي أو الاعتدال الخريفي فالخطّ الذي يخرج على استقامة الظلّ و يمرّ بالمركز -عند كون الشمس في أحدهما- هو خطّ المشرق والمغرب. فالخطّ المقاطع له على زوايا قائمة هو خطّ نصف النهار.
4. إذا ترسم الدائرة بحيث تكون القوس الواقعة بين مدخل الظلّ ومخرجه-من الدائرة المذكورة-اصغر من نصف الدور⁶، قرب العمل من التحقيق.

⁶ قال أستاذنا في كتابه "دروس معرفة الوقت و القبلة":
"و اعلم أنّ عدم كونها اصغر من نصف الدور إنّما يتحقق إذا كانت الشمس قبل نصف النهار قريبة من الأفق وكان مقياس الظلّ على حدّ يصل رأس الظلّ وقتئذ على محيط الدائرة فيصل الظلّ بعد نصف النهار إلى محيطها ثانيا إذا كانت الشمس قريبة من الأفق. فعلى قرب الشمس من الأفق يتفرّع أمران مخلان بتدقيق العمل: أحدهما تشبّث الظلّ، و الثاني كون القوس الواقعة بين المدخل و المخرج اعظم من نصف الدور أو مساويا له".

5. ومما يقرب العمل من التحقيق هو أن لا تكون الشمس قريبة من نصف النهار.⁷ و اعلم أن هيهنا أموراً أخرى توجب تقرب العمل من التحقيق في تحصيل خطي نصف النهار والمشرق والمغرب بالطريق المذكور. كما توجد طرق كثيرة أخرى مذكورة في الرسائل المفصلة كالقانون للمسعودي وافراد المقال في أمر الظلال وغيرها ، فمن أراد الاستيفاء في ذلك فليراجعها.

المقدمة الرابعة

قد عرفت ممّا مرّان الدائرة تقسم بالخطين المذكورين على أربعة أقسام متساوية، فتقسم كلّ ربع منها تسعين قسماً متساوية حتى تكون أقسام محيط الدائرة كلّها ثلاثمائة وستين جزءاً متساوية

⁷ وفي وجه ذلك قال الأستاذ في الكتاب المذكور: وقال العلامة الكامل في تحفة الاجلة: "البطو تقلص الظل و انبساطه عنده (أي عند كون الشمس قريبة من نصف النهار) فلا يتعين وقت الدخول و الخروج".

وهي درجات الدائرة. فتكون الدائرة الهندية حينئذ
جاهزة لتحصيل سمت القبلة بها.

تحصيل سمت القبلة بالدائرة الهندية

إذا أتقت ما قدّمناها من المقدمات فابدأ بتحصيل
سمت القبلة بالطرق التالية:

1. إن تساوي البلد ومكة المكرمة طولاً فقبلته نقطة
الجنوب إن زاد عرضه الشمالي، وإلا فنقطة
الشمال مطلقاً. ويختصّ هذا بنصف الدور الذي
تقع فيه مكة بين قطبي الشمال والجنوب دون ما
يقع فيه مقاطرها بينهما.

2. وإن تساوي البلد ومكة المشرفة عرضاً وجهة -
أي إذا كان البلد شمالياً و عرضه يساوي عرض
مكة- فهبنا مذهبنا:

أ. ذهب جمع من العلماء إلى أن قبلة البلد
المذكور هي نقطة المغرب إن كان شرقياً من مكة،
ونقطة المشرق إن كان غربياً منها. وقد نسبوا هذا

الرأي إلى جماعة منهم ابرخس والحكيم كوشيار
وعبد الرحمان بن عمر الصوفي وابن الأعلم.
و قال العلامة الكابلي:

"يمكن أن يكون مراد من ذهب إلى أنّ القبلة في
هذا الفرض نقطة المشرق أو المغرب إنّ مكّة
المكرّمة والبلد المفروض تحت دائرة واحدة من الدوائر
العرضية ولا شكّ إنّ القبلة حينئذ إنّما نقطة المغرب
إن زاد طول البلد، أو نقطة المشرق إن نقص".⁸
وقال في موضع آخر:

"بل الجهة⁹ حينئذ- أي إذا كان البلد ومكّة متساويين
في العرض والجهة - نقطة المشرق أو المغرب على
رأي المتأخرين من أهل اروبا كما ذهب إليه ابرخس
وابن الأعلم من القدماء".¹⁰

واستشكل عليهم بأنّ هذا الرأي مبنيّ على أنّ
دائرة أول سموت البلد تمرّ بسمت رأس مكّة وحينئذ

⁸ تحفة الأجلّة، الفصل 15، ص 46 و 47.

⁹ أي جهة القبلة.

¹⁰ نفس المصدر، الفصل 13، ص 37 و 38.

تكون متّحدة بدائرة أوّل سموت مكّة، والحال أنّ الأمر ليس كذلك. لامتناع اتّحاد دائرة أوّل سموت البلدين و إن كانا متساويين عرضا و جهة إلّا في صورتين: الصّورة الأولى: إذا كان البلدان على خطّ الاستواء، لأنّ معدّل النهار حينئذ هي دائرة أوّل السّموت لكليهما.

الصّورة الثانية: إذا كان أحد البلدين واقعا على الموضع المتقاطر للآخر، فتتحد دائرة أوّل سموتهما، لأنّ سمت الرأس كلّ واحد منهما هو سمت قدم الآخر وبالعكس.

ولا يخفى إنّ ما نحن فيه ليس من قبيل هاتين الصورتين، فلا تتحد دائرة أوّل سموت مكّة والبلد المساوي لها عرضا وجهة.¹¹

¹¹ ويمكن لنا أن نضيف على الاستشكال عليهم بأنّ الدائرة العرضيّة التي توازي معدّل النهار و يقع عليها البلد و مكّة، ليست دائرة عظيمة كما لا يخفى، و الحال أنّ دائرة سمت القبلة يجب ان تكون عظيمة كما مرّ.

ب. وذهب جماعة إلى أنّ البلد المذكور (أي الذي يساوي مكّة عرضاً وجهة) إذا كان غربياً عن مكّة كان سمت قبلته في الربع الشرقي والشمالي، وإنّ كان شرقياً عنها كان في الربع الغربي الشمالي. وهذا القول منسوب إلى متأخر في منجمي الإسلام. قال المحقّق الطوسي:

"وكلّ بلدة يساوي عرضها عرض مكّة كانت مع مكّة تحت مدار واحد يومي فإن كان طولها أقلّ¹² فمكّة عن يسار مشرق الاعتدال (أي في الربع الشرقي الشمالي). وإن كان طولها أكثر فمكّة عن يمين مغرب الاعتدال"¹³.¹⁴

ووجه هذا المذهب هو أنّ العبرة في معرفة سمت القبلة هي بدائرة أول السموت دون الدائرة العرضيّة المتوازية لخطّ الاستواء، وحيث إنّ كلّ نقطة تفرض

¹² يعني أنّ البلد كان غربياً عن مكّة. فأنّه نصّ على أنّ مبدأ الطول هو جزائر

الخالديات أو ساحل البحر الغربي.

¹³ أي في الربع الغربي الشمالي.

¹⁴ التذكرة، الباب الثالث، الفصل الثاني عشر.

على دائرة أوّل سموت البلد فبعدها عن المعدّل اقلّ من بعد سمت الرأس إلّا الموضع المتقاطر للبلد وهو سمت القدم، فسمت رأس مكّة المكرّمة يقع في شمال أوّل سموت البلد، سواء كان البلد في شرق مكّة أو غربها.

وإذا أتقنت ما ذكرنا وطبّقته على الكرة بالضبط، فقد عرفت أنّه إذا كان البلد المذكور (أي المساوي لمكّة عرضاً وجهة) غربياً عن مكّة المكرّمة، كان سمت قبلته في الربع الشرقي الشمالي، وإن كان البلد شرقياً عنها، كان سمت قبلته في الربع الغربي الشمالي والأفضل هو أن تستخرج سمت قبلة البلد المذكور بالطرق الأخرى مثل الطريق الأوّل أي ببلوغ الشمس سمت رأس مكّة في الدرجة الثامنة من الجوزاء أو الثالثة والعشرين من السرطان.

3. إن كان البلد شمالياً عن خطّ الاستواء وزاد عرضه وطوله الشرقي على عرض مكّة وطولها، فيعلم أنّ مكّة تقع إلى جانب الجنوب الغربي من البلد.

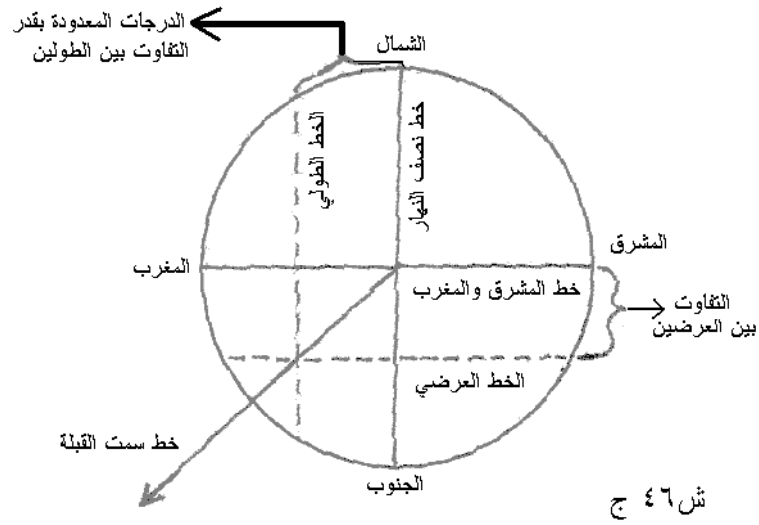
فابدأ بتحصيل سمت قبلة البلد المذكور بالدائرة
الهنديّة بما يلي:

أ. تأخذ التفاوت بين طول البلد وطول مكّة وتعدّ
الدرجات مبتدأ من نقطتي الشمال والجنوب -
على الدائرة الهنديّة- إلى المغرب بقدر تفاوت ما
بين الطولين بحسب الدرجات. وصل بين
النهايتين بخطّ يكون موازيا لخطّ نصف النهار في
الدائرة الهنديّة. و ذلك الخطّ الموازي لنصف النهار
يسمّى بالخطّ الطولي.

ب. تأخذ التفاوت بين عرض البلد وعرض مكّة وتعدّ
من نقطتي المشرق والمغرب - على الدائرة
المذكورة- إلى الجنوب بقدر تفاوت ما بين
العرضين من الدرجات. وصل بين هاتين النهايتين
أيضا بخطّ يكون موازيا لخطّ المشرق والمغرب.
وذلك الخطّ الموازي يسمّى بالخطّ العرضي.

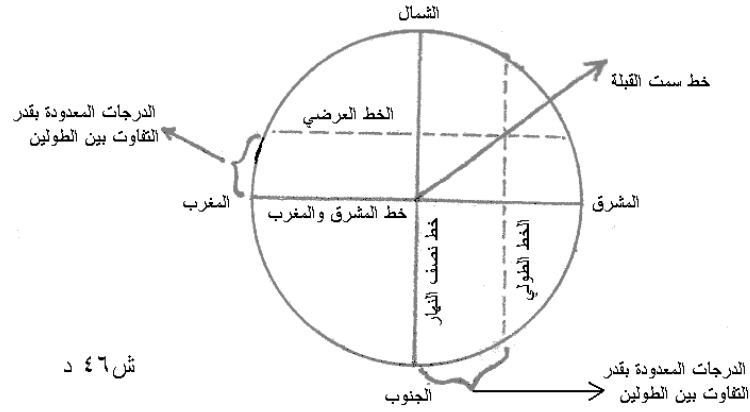
ج. لا يخفى أنّ الخطّ الطولي والخطّ العرضي
يتقاطعان على نقطة هي غير مركز الدائرة.

فأخرج من مركز الدائرة إلى نقطة تقاطع الخطّين المذكورين خطًّا. وهو على صوب القبلة.



4. إن كان البلد شماليًّا عن خطّ الاستواء ونقص كلّ واحد من عرضه وطوله من عرض مكّة وطولها، فيعلم أنّ مكّة المكرّمة تقع إلى جانب الشمال الشرقي من البلد. فتأخذ التفاوت بين طول مكّة وطول البلد وتعدّ مبتدأً من نقطتي الشمال

والجنوب من الدرجات -على الدائرة الهندية- إلى
المشرق بقدر التفاوت بين الطولين. وصل بين



النهائيتين بخط مواز لخط نصف النهار وهو الخط
الطولي. ثم تأخذ التفاوت بين العرضين وتعدّ من
نقطتي المشرق والمغرب إلى الشمال بقدر
تفاوت ما بين العرضين. وصل بين النهائيتين بخط
مواز لخط المشرق والمغرب وهو الخط العرضي،
وأخرج من مركز الدائرة خطاً إلى نقطة تقاطع
الخط الطولي والخط العرضي، وهو على صوب
القبلة.

5. إن كان البلد شمالياً عن خطّ الاستواء وزاد طولهُ الشرقي على طول مكّة ونقص عرضه من عرضها، فتقع مكّة في جانب الشمال الغربي من البلد. فتأخذ التفاوت بين الطولين وتعدّ من نقطتي الشمال والجنوب إلى المغرب بقدر تفاوت ما بين الطولين، وتأخذ التفاوت بين العرضين وتعدّ من نقطتي المشرق والمغرب إلى الشمال بقدر التفاوت بين العرضين وأكمل العمل بما مرّ.

6. إن كان البلد شرقياً عن خط الاستواء ونقص طولهُ الشرقي من طول مكّة وزاد عرضه على عرضها، فتقع مكّة في جانب الجنوب الشرقي من البلد. فتعدّ من نقطتي الشمال والجنوب إلى المشرق بقدر تفاوت ما بين الطولين، ومن نقطتي المشرق والمغرب إلى الجنوب بقدر ما بين العرضين وأكمل العمل بما عرفت.

7. إن كان البلد شمالياً عن خط الاستواء وليس له طول أصلاً كمدينة غرينتش¹⁵ سواءً كان عرضه أقلّ أو أكثر من مكّة، فتأخذ طول مكة بمنزلة التفاوت بين الطولين وأكمل العمل.

8. إن كان البلد شمالياً عن خط الاستواء وكان طوله غربياً عن غرينتش فأجمع الطول الغربي للبلد مع طول مكة وأجعل مجمع الطولين بمنزلة تفاوت ما بين الطولين وعدّ من نقطتي الشمال والجنوب إلى المشرق وأكمل العمل.

9. إذا كان البلد عديم العرض (أي يقع على خط الاستواء) ، فتأخذ عرض مكة بمنزلة تفاوت ما بين العرضين وتعدّ من نقطتي المشرق والمغرب إلى الشمال بقدر عرض مكة من الدرجات وأكمل العمل.

¹⁵ Greenwich (كـرينويچ)

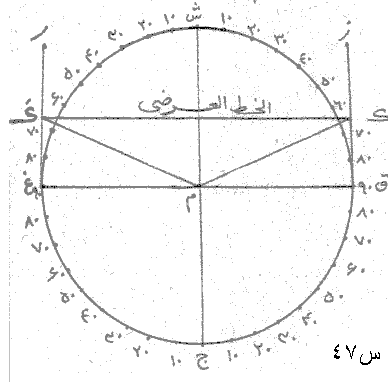
10. إذا كان البلد جنوبياً عن خط الاستواء فاجمع عرضه الجنوبي مع عرض مكة واجعل مجموع العرضين بمنزلة تفاوت ما بين العرضين. فعدّ من نقطتي المشرق والمغرب إلى الشمال بقدر مجموع العرضين وأكمل العمل.

11. إذا كان ما بين الطولين نصف الدور (180 درجة) وكان الموضع مقاطراً لمكة المكرمة (أي كان عرضه الجنوبي مساوياً لعرض مكة)، فأينما تولّوا فثم وجه الله.

12. إذا كان ما بين الطولين نصف الدور ولم يكن الموضع مقاطراً لمكة، فإن كان عرضه الجنوبي أقل من عرضها فنقطة الشمال هي نقطة سمت القبلة، وهكذا إن لم يكن له عرض أصلاً أو كان عرضه شمالياً. وإن كان عرضه الجنوبي أكثر من عرض مكة، فنقطة الجنوب هي نقطة سمت القبلة.

تكملة

حكى عن بعض المحققين أنه: إن كان ما بين الطولين ربع الدور، فاقم على نقطة المشرق من الدائرة الهندية إن كان البلد غربياً وعلى نقطة

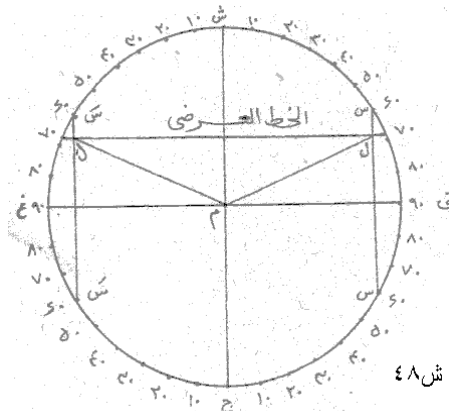


المغرب إن كان البلد شرقياً عموداً و أخرج الخط العرضي إلى أن يلاقي العمود، فالخط المستقيم الواصل بين

المركز ونقطة الملاقات هو خط سمت القبلة.

مثاله في بلد عرضه الشمالي 48 درجة و 55 دقيقة وما بين طوليهما 90 درجة، فيكون ما بين عرضيهما 27 درجة و 30 دقيقة فنقول:

إذا كان البلد شرقياً نقيم على نقطة المغرب (غ) عمود (غ ر) و نخرج الخط العرضي إلى أن لاقى العمود في ك فالخط المستقيم الواصل بين المركز



ونقطة الملاقات (ك) وهو (م ك) خط سمت القبلة.
وقس عليه إذا كان البلد غربياً.
وإن كان ما بين الطولين أكثر من ربع الدور، نعدّ من كلّ من نقطتي الشمال أو الجنوب بقدر ما بين الطولين من أجزاء الدائرة إلى المغرب إن كان البلد شرقياً، وإلى المشرق إن كان غربياً، ونصل بين النهايتين بخط مستقيم. وهذا الخط لا محالة يقطع الخط العرضي على زوايا قائمة. فصل بين المركز ونقطة تقاطع هذين الخطين بخط مستقيم، فإنه خط سمت القبلة. مثاله بلد عرضه الشمالي 41 درجة و 25 دقيقة وما بين طوليهما 120 درجة، فما بين عرضيهما 20 درجة. فلو فرض البلد شرقياً نعدّ من نقطة (ش) إلى (غ) من أجزاء الدائرة (120 درجة) فينتهي إلى (س)، ومن نقطة (ج) إلى (غ) (120 درجة) فينتهي إلى (س) ونرسم الخط العرضي فيلاقي (س س) في (ل)، فنصل بين (ل) و (م) بخط مستقيم وهو (ل م) وهو خط سمت القبلة.

وقس عليه إذا كان البلد غربياً، فيكون الخط (م ل)
خط سمت القبلة¹⁶

3 - معرفة سمت القبلة بتحصيل قوس الانحراف

قد عرفت أنّ قوساً من الأفق تقع بين دائرة نصف نهار
البلد ودائرة سمت القبلة من جانب ليس أقرب منه،
هي قوس سمت القبلة وقد تسمى انحراف سمت
القبلة. فهي قوس واقعة من الأفق بين نقطة سمت
القبلة وبين نقطة الشمال أو الجنوب من جانب ليس
أقرب منه.

فإذا حصلت جهة الانحراف ومقدار قوسه (ولو
بالجداول المعتبرة الموضوعة في هذا الفن)، فترسم
الدائرة الهندية وتستخرج خط نصف النهار وخط
المشرق والمغرب وتقسم كل ربع من محيط الدائرة
إلى 90 درجة متساوية وتحصل سمت القبلة بما
يلي:

¹⁶ حكاه العلامة الكابلي في تحفة الأجلة عن المولى مظفر الجنازدي في رسالته
في القبلة نقلاً عن بعض المحققين.

1 - إن كان طول البلد مساوياً لطول مكة أو كان ما بين الطولين 180 درجة، فكلاهما واقعان تحت نصف نهار واحد ولا يكون للبلد قوس الانحراف ويكون خط نصف نهاره خطّ سمت القبلة.

2 - إن لم يكن الأمر كذلك، فعدّ من مبدأ السمّت¹⁷ من القوس التي في جهة الانحراف بقدر أجزاء الانحراف، وصل بين منتهاه ومركز الدائرة بخط مستقيم. وهو خط سمت القبلة.

3 - إن كان العرض الشمالي للبلد مساوياً لعرض مكة المكرّمة، فقال النراقي الثاني¹⁸ في المستند: ومع الاتحاد عرضاً من الشمال إلى

¹⁷ أي مبداء قوس سمت القبلة وهو أمّا نقطة الشمال أو نقطة الجنوب.

¹⁸ العلامة المولى أحمد النراقي

المغرب بقدر تمام العرض إلى التسعين إن زاد طول البلد، ومنه إلى المشرق كذلك إن نقص.

وقال الأستاذ العلامة الأملى في دروس معرفة الوقت والقبلة إيضاحاً لهذا الكلام: يعني أنّ البلد ومكة إن اتحدا عرضاً ووجهةً -لأنّ كلامه جار في البلاد الشمالية- فإن كان البلد شرقياً من مكة، فجهة الانحراف من الشمال إلى المغرب بقدر تمام¹⁹ عرض البلد المساوي لعرض مكة، أي تبدأ من نقطة الشمال في الدائرة الهندية وتعدّ من الربع الذي بينها وبين نقطة المغرب بقدر تمام العرض أي $35^\circ 68'$ (68 درجة و 35 دقيقة) ، لأنّ عرض مكة $25^\circ 21'$ والبلد يساويها عرضاً، فصل بين منتهاه ومركز الدائرة بخط مستقيم فهو خط سمت القبلة. وإن كان البلد غربياً من مكة. لأنّه قدّس سرّه أخذ الطول من آخر العمارة في جهة الغرب فإنه كان في سالف الأيام مبدأ

¹⁹ قد عرفت في مبحث الدائرة أنّ متمّ كلّ قوس إلى تسعين درجة هو تمام تلك القوس.

الطول وإذا كان طول البلد ناقصاً عن طول مكة كان
غربياً منها لا محالة، فجهة الانحراف من الشمال إلى
المشرق بقدر تمام العرض إلى التسعين.
لكنّ العلامة الكابلي ردّ على كلام النراقي بأنّ ذلك
في البلاد العديمة العرض أعنى البلاد الواقعة على
خطّ الاستواء فتدبر.

تنبيه

لا يخفى على من تأمّل في الطرق المذكورة في
مختلف الكتب لتحصيل سمت القبلة، أنّ كثيراً منها
تقريبية بالنظر إلى إفادتها التوجّه إلى عين الكعبة.

معرفة القبلة بالعلامات المنصوبة شرعا

أنّ ما بيّناه في الفصل السابق من الطرق العلمية و
الفلكية لتحصيل سمت القبلة هي من أدقها وأقربها
إلى التحقيق، لأنها تبتني على الأصول الرياضية
المبرهنة. و هناك أمارات مروية في كتب الحديث
وعلامات منصوبة معدودة تخص بعض البلدان و قد
استنبطها الفقهاء رضوان الله عليهم و شرحوها في
الكتب الفقهية.

وقد نظمت المشهور من تلك العلامات في كتاب
"منطومة القواعد الفقهية" كما يلي:

صلّ إلى الكعبة عيناً أو جهة
بالعلم فالمظنّة الموجهة
و أجعل على الأيمن في العراق
و مشبهه مغرب الآفاق

ثم اجعل الجدى²⁰ خلف المنكب
من جهة اليمين عند الطلب
و عكسه اجعل لو تريد الشاما
فضع سهيلاً طالعاً أماماً
في المغرب العيوق و الثريا
عند الوقوف ثابتاً سوياً
على شمال و يمين أجعلن
وعكس حكم الشام حكم لليمن

توضيح العلامات المنصوبة

و اعلم أنّ هذه الأمارات تقريبية وتختصّ ببعض
البلدان ولا يعرف بها سمت القبلة في غيرها. ومن
البلدان المذكورة فيها هو العراق والشام والمغرب
واليمن.

²⁰ قد عرفت أنّ الجدى بصيغة التصغير يطلق على النجم القطبي في مصطلح هذا
الفن وسيأتي تفصيله.

قبلة العراق

قال المحقق الشهيد محمد بن مكي العاملي في
اللّمة الدمشقيّة:

((وعلامة أهل العراق ومن في سمتهم جعل
المغرب على الأيمن والمشرق على الأيسر والجدى
خلف المنكب الأيمن)).

لا يخفى أنّ تحقيق المقام وتفسير هذا الكلام يبتني
على معرفة كوكبة الجدىّ، ولأجل هذا يجب علينا أن
نبحث عن هذه النجمة بالاختصار.

كوكبة الجدىّ

الجدى في الأصل بفتح الجيم وسكون الدال المهملة
وتخفيف الياء، لكنهم صغّروه في الاصطلاح. فصار
الجُدَىّ بضم الجيم وفتح الدال وتشديد الياء وهو
أسم نجمة القطب المعروفة. وإنّما صغّروه للفرق

بين الجدى هذا والجدى الذي هو العاشر من
البروج²¹.

هذه النجمة تقع في طرف ذنب الصورة الفلكية التي
تسمّى بالدبّ الأصغر وقد تسمّى بنات النعش
الصغرى وهي أقرب الصور الفلكية إلى القطب
الشمالي. والجدى يدور حول القطب الشمالي
الحقيقي في كل أربعة وعشرين ساعة دورة واحدة
كاملة وذلك لحركة الأرض الوضعية. وبعد النجم
المذكورة عن القطب الشمالي الحقيقي أكثر من
درجة واحدة في زماننا ولكنه متغير تغيراً بطيئاً وقد
عرفت وجهه في مبحث الحركة التقديمية من
المقالة الأولى.

حكى الاسناد العلامة الأملى عن أرواء الظماء من
محاسن القبة الزرقاء للفاضل فانديك أنّ بين الجدى
وبين القطب درجة واحدة وعشرين دقيقة. وقال
العلامة الكابلي بأنّ بينه وبين القطب الشمالي

²¹ راجع دروس معرفة الوقت والقبلة، الدرس 35 والدرس 70، وتحفة الاجلّة
ص6، نقلاً عن تاج العروس والمغرب للمطرزى.

الحقيقي الآن درجة واحدة وأربع عشرة دقيقة كما
في دائرة المعارف البريطانية (المجلد الثامن،
ص153، الطبعة الثالثة عشرة) وحيثما يدور الجدى
حول القطب في يوم وليلة مرة واحدة، فله غاية
ارتفاع وغاية انخراط وفي هذين الوقتين يكون أكثر
أنطباقاً على القطب الحقيقي. ولأجل هذا، إذا أراد
الفقهاء تعيين القبلة به، يقيّدونه بكونه في غاية
ارتفاعه أو انخفاضه فانقذح بما أسلفنا أننا إذا جعلنا
الجدى خلف المنكب الأيمن في أوساط العراق مثل
الكوفة فنتوجه إلى الجنوب الغربي و هي جهة القبلة
إجمالاً. وذلك لأنّ طول البلد وعرضه فيها أكثر من
مكة المكرمة.

قال الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي في
الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية:
((وهذه العلامة (أي جعل الجدى خلف المنكب
الأيمن) ورد بها النصّ خاصة علامة للكوفة وما
ناسبها وهي موافقة للقواعد المستنبطة من الهيئة

وغيرها. فالعمل بها متعيّن في أوساط العراق مضافاً
إلى الكوفة كبغداد والمشهدين والحلّة))
وقال العلامة بحر العلوم الطباطبائي في "الدرّة
المنظومة":

و يعرف البعيد سمت القبلة من العلامات التي سيقّت له
و الجدى منها وهو أجلى آية حسّاً و بالآية و الرواية
فاجعله خلف المنكب الأيمن في أواسط العراق مثل النجف
و كربلا و سائر المشاهد و ما يدانيها ولم يباعد²²

ثم اعترض الشهيد الثاني على صدر كلام الشهيد
الأول بما يلي:

((و أمّا العلامة الأولى²³ فإن أريد فيها بالمغرب
والمشرق الاعتداليان كما صرّح به المصنّف في
البيان، أو الجهتان اصطلاحاً وهما المقاطعتان لجهتي
الجنوب والشمال بخطين بحيث يحدث عنهما زوايا

²² الدرّة المنظومة، مبحث القبلة من كتاب الصلاة

²³ يعني جعل المغرب على الأيمن والمشرق على الأيسر.

قوائم، كانت مخالفة للثانية²⁴ كثيراً، لأنّ الجدى حال استقامته²⁵ يكون على دائرة نصف النهار المارّة بنقطتي الجنوب والشمال. فجعلُ المشرق والمغرب على الوجه السابق على اليمين واليسار يوجب جعل الجدى بين الكتفين قضية للتقاطع. فإذا اعتبر كون الجدى خلف المنكب الأيمن لزم الانحراف بالوجه عن نقطة الجنوب نحو المغرب كثيراً، فينحرف بواسطته الأيمن عن المغرب نحو الشمال والأيسر عن الشرق نحو الجنوب، فلا يصح جعلها معاً علامة لجهة واحدة، ألاّ أن يدعى اغتفار هذا التفاوت، وهو بعيد خصوصاً مع مخالفة العلامة للنص²⁶ والاعتبار. فهي أما فاسدة الوضع أو تختص ببعض جهات العراق وهي أطرافه الغربية كالموصل وما والاها، فإنّ التحقيق أنّ جهتهم نقطة الجنوب وهي موافقة لما ذكر في العلامة. ولو اعتبرت العلامة غير مقيّدة

²⁴ أي العلامة الثانية ويعني بها جعل الجدى خلف المنكب الأيمن.

²⁵ أي جعل كونه في غاية ارتفاعه أو انخفاضه

²⁶ يعني مخالفة العلامة الأولى للنصّ على جعل الجدى خلف المنكب الأيمن.

بالاعتدال ولا بالمصطلح بل بالجهتين العرفيتين انتشر
الفساد كثيراً ... ((.

ويمكن أن يجاب عن هذا الاعتراض بأنَّ الغرض هو
بيان مراحل تحصيل صوب القبلة في البلدان
المذكورة، بأن تكون المرحلة الأولى جعل المغرب
على الأيمن و المشرق على الأيسر إجمالاً،
والمرحلة الثانية انحراف الأيمن عن المغرب نحو
الشمال والأيسر عن المشرق نحو الجنوب بحيث
يجعل الجدى خلف المنكب الأيمن، وذلك للتسهيل
في التحصيل. فهما مرحلتان لعلامة واحدة، لا
علامتان مستقلتان لكي لا تتلائماً.

قبلة الشام

ذهب جمع من الفقهاء إلى أنَّ علامة الشام هي
جعل الجدى في غاية ارتفاعه أو انخفاضه خلف
المنكب الأيسر وجعل سُهَيْل أوّل طلوعه بين
العينين.

أعلم أنّ نجمة سهيل هي من كواكب الصورة
الفلكية التي تسمّى بالسفينة وهي من الصور
الجنوبية. وهذه النجمة مرئية في المواضع التي
عرضها الشمالي 38 درجة و 35 دقيقة فنازلاً -كما
في معجم المصطلحات النجومية- وهي عن طلوعها
وبروزها عن الأفق تكون منحرفة عن الجنوب نحو
المشرق، وعند كونها في غاية الارتفاع تكون
مسامته للجنوب.

فإذا جعلها الشامي عند طلوعها بين العينين وجعل
الجدى حال كونه في غاية الارتفاع أو الانخفاض خلف
المنكب الأيسر، فهو متجه إلى الجنوب الشرقي
وهي جهة القبلة إجمالاً. وذلك لأنّ طول البلد هناك
أقل من مكة وعرضه أكثر منها.

وذهب طائفة أخرى من الفقهاء إلى أن علامة الشام
هي جعل الجدى في الحالة المذكورة خلف الكتف
الأيسر، لا المنكب الأيسر. وإليه أشار العلامة
الطبائبي بقوله:

وَصَعَهُ فِي الشَّامِ عَلَى الْأَيْسَرِ مِنْ كَتْفَيْكَ لَا الْمَنْكَبِ فِي رَأْيِ زُكْنٍ

وقال الشهيد الثاني في بيان وجهه:

((لَأَنَّ انْحِرَافَ الشَّامِيِّ أَقْلَ مِنْ انْحِرَافِ الْعِرَاقِيِّ
الْمَتَوَسِّطِ، وَبِالتَّحْرِيرِ التَّامِّ يَنْقُصُ الشَّامِيُّ عَنْهُ
جُزْأَيْنِ²⁷ مِنْ تِسْعِينَ جُزْأً مِمَّا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْمَشْرِقِ
أَوْ الْمَغْرِبِ)).

وقال صاحب جواهر الكلام في مبحث علامات القبلة
لأهل الشام من مباحث كتاب الصلاة من الجواهر:
((وَذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَ نَقْطَةِ الْجَنُوبِ وَالْمَشْرِقِ تِسْعِينَ
جُزْأً، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ نَقْطَةِ الْمَغْرِبِ تِسْعِينَ جُزْأً أَيْضاً،
وَانْحِرَافَ الشَّامِيِّ نَحْوَ الْمَشْرِقِ أَحَدٌ وَثَلَاثُونَ جُزْأً مِنْ
التَّسْعِينَ، وَانْحِرَافَ الْعِرَاقِيِّ نَحْوَ الْمَغْرِبِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ
جُزْأً، فَيَنْقُصُ الشَّامِيُّ عَنِ الْعِرَاقِيِّ جُزَيْنِ، لِأَنَّ الْكَتْفَ
أَقْرَبَ إِلَى مَا بَيْنَ الْكَتْفَيْنِ مِنَ الْمَنْكَبِ، فَيَتَفَاوَتُ بِهِمَا
الانْحِرَافُ)).

²⁷ أي درجتين من ربع الدور الذي هو بين الجنوب والمشرق، أو بين الجنوب
والمغرب.

لا يخفى عليك أنّ هذا الحكم إذا كان صحيحاً
بالنسبة إلى دمشق، لا يكاد يعمّ جميع أقطار
الشام.

قبلة المغرب

قال الشهيد في اللمعة الدمشقية:

((وللمغرب جعل الثريا والعيوق على يمينه
وشماله)).

الثريا هي مجموعة تتألف من عدّة كواكب على
شكل عنقود، وستة منها ظاهرة واحد منها خفيّ
يتمتحن به الناس أبصارهم. وهي تقع على سنام
صورة الثور الفلكية التي هي الثانية من البروج.
والعيوق كوكب بهيّ يقع في الصورة الفلكية التي
تسمى ممسك الأعتة وهي من الصورة الشمالية
وبعدها -كما في معجم المصطلحات النجومية-
خمس ساعات وثلاثون دقيقة وميلها الشمالي
أربعون درجة. ويطلع العيوق مع الثريا بفاصلة قليلة.

وأضاف على هذه العلامة صاحب جواهر الكلام في
مباحث علامات القبلة من كتابه، جعل الجدى حال
استقامته أو مطلقاً كما جزم به كشف اللثام على
صفحة الخدّ الأيسر. فتأمل.
وذهب العلامة الطباطبائي إلى أنّ علامة قبلة
المغرب هي جعل الجدى على الأذن اليسرى.

تبصرة

لا يخفى عليك أنّ المغرب يطلق على شمال أفريقيا
فيشمل ليبيا وتونس والجزائر ومراكش، وهذا هو
المشهور في مصطلح الجغرافيين، وقد يطلق ويراد
به بعض المغرب كالحبشة والنوبة - كما في الروضة
البهية- ولا شكّ في أنّ هذه الأقطار مختلفة من
حيث سمت القبلة. ولعلّ هذا هو السبب لاختلاف
آراء الفقهاء.

قبلة اليمن

علامة اليمن هي جعل سُهيل أول طلوعه بين الكتفين وجعل الجدى في غاية الارتفاع أو الانخفاض على مقدم المنكب الأيمن أو الكتف الأيمن حسب اختلاف أقطاره.

والى ذلك أشار الشهيد الأول بقوله: ((واليمن مقابل الشام)). فنأمل.

تذكرة

إذا أمعنت النظر فيما أسلفنا فقد عرفت أنّ الأمارات الشرعية والعلامات المستنبطة التي تعرض لها فقهاؤنا -رضوان الله عليهم- هي تقريبية، وإنّما يعول عليها من لا يقدر على تحصيل سمت القبلة بالقواعد المتطقنة الرياضية المذكورة والضوابط الرصينة التي تعرض لها المتصلّعون في هذا الفنّ، كقاعدة العرض

الأوسط وقاعدة السلك البسيط والمثلثات الكروية
وأمثالها²⁸.

²⁸ راجع تحفة الأجلة في معرفة القبلة.